

عناصر الإيمان في شخصية المؤمن



◀ الالتزام بأوامر القيادة الشرعية:

نقرأ قوله تعالى مخاطباً النبي (ص) حول علاقة المسلمين بقيادتهم في أي أمر من الأمور العامة، حيث تكون هناك قيادة إسلامية شرعية في مستوى النبي أو الإمام، أو في مستويات قيادية أخرى كالعلماء مثلاً، فهل يملك المسلمون أن يتصرفوا بحررية في القضايا العامة؟ أم لابد لهم أن يستأذنوا القيادة في ذلك حتى يصدق عليهم أنهم المؤمنون؟

فالخطاب في الآية التالية موجّه إلى النبي (ص) في علاقة المؤمنين به (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ - وَكَلِمَةً (إِنْ شَاءَ) دالة على الحصر في اللغة العربية (الَّذِينَ آمَنُوا بِآلِ اللَّهِ - وَرَسُولِهِ - وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ). يتصل بالحياة العامة للمسلمين (لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) فقد يحتاج القائد أحدهم في تنفيذ هذا الأمر أو في المشاركة فيه، وعليهم أن يضعوا أنفسهم تحت تصرّفه ورهن إشارته، فإذا كانوا معه فعليهم أن ينتظروا أوامره، وإذا كان هناك ما يدفعهم إلى أن يذهبوا فعليهم أن لا يذهبوا إلا بعد الاستئذان (لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ)، من حرب أو سلم أو مهمة، وما إلى ذلك.

(إِنَّ - الَّذِينَ - يَسْتَأْذِنُونَكَ - أُولَئِكَ - الَّذِينَ - يُؤْمِنُونَ - بِآلِ اللَّهِ - وَرَسُولِهِ). أما الذين يذهبون دون أن يستأذنوك، وقد تكون بحاجة إليهم فإنهم لا يتحركون في خط الانقياد للقيادة، ولذلك فإنهم لا يمثلون شخصية المؤمن الحقيقي، لأن الإيمان بالرسول لا يمثل مجرد كلمة أو مبايعة أو التزام شكلي بل يمثل التسليم والانقياد الذي يجعل حركتهم كلها صدى لما يريده الرسول من حركة.

(وَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ) وهنا يتوجه الأمر إلى النبي (ص)، بصفته القائد الأعلى، أن عليه أن يراعي ظروف المسلمين والناس في حاجاتهم وأمورهم الخاصة فلا يضيق عليهم بالمطلق، بل يدرس طبيعة القضية التي يستأذنونه فيها ليري إمكانية الإذن فيها وعدمه. (وَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ). فعندما تدرس ظروفهم وترى أنهم فعلاً في حاجة إلى أن تأذن لهم فأذن لهم (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ)، لأن الاستغفار يوحى بالمحبة والرعاية والرضا (إِنَّ اللَّهَ - غَفُورٌ - رَحِيمٌ) (النور/ 62).

فهذه الآية تؤكد على أن صفة الإيمان في معناها العميق في علاقة القاعدة بالقيادة هي أن تضع القاعدة نفسها في تصرف القيادة، فلا تتحرك بعيداً عنها، حتى في شؤونها الخاصة، إلا بعد استئذان القيادة، لأنها قد تكون في حاجة إلى هذا أو ذاك.

الصبر على الأذى:

وهناك آية أخرى تتحدث عن هذه المسألة، وعن الذين يقولون: (آمنّا بالله)، فبعض الناس أنا مؤمن وقد يتحرّك بإيمانه في مواقع التحدي، ولكن كم هي قدرته على الصبر والتحمّل؟ فإن تكون مؤمناً في ساحات الصراع فإن عليك ضريبة أن ينالك الأذى من القوى المضادة، وعندما تطلق كلمة الحق فإن كل الذين يسرون في خطّ الباطل يندفعون ليشتموك أو ليتهموك أو ليؤذوك في بعض شؤون حياتك. ففي هذه الحالة، كيف يكون شعورك؟ هل تشعر بالقوة؟ هل تصبر؟ هل تصمد؟ هل تحسّ بالرضا النفسي لأنك تتحمّل الأذى في جنب الله وفي سبيله؟ أو أنك تشعر بالجزع والسقوط وتعتبر أن هذه المشكلة إنما نجمت من خلال إيمانك فتتحسّس أن إيمانك قد أدّى إلى ضررك وخسارتك فيضعف التزامك بإيمانك بقدر ما يتوجه إليك من الضرر والأذى، كالكثير من الناس الذين إذا أؤذوا في الله حمّلوا الله "جميعاً" في ذلك ومنذاً عليه فيه.

والقرآن يعالج هذه المسألة في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ). بحيث يوصل المسألة في مشاعره وأحاسيسه، فيما يلاقي من أذى الناس، إلى ما يعبر عنه القرآن بالفتنة باعتبار أنّه يهزّ شخصية الإنسان وقد يؤدي بها إلى السقوط، بحيث يتعاطم شعوره بالأذى الصادر إليه من الناس لقاء إيمانه، تماماً كما هو عذاب جهنم، فيساوي بين العذابين في الجزع لدرجة الامتنان على المسلمين بذلك أو السقوط أمامه.

(وَلَتَنِينَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ). فإذا ما انتصر المسلمون وجاء الفتح (لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ). ففي حالة الأذى الذي يصيبه من خلال إعلانه الإيمان فإنّه يواجه المسلمين كما لو كانوا هم الذين أوقعوه في ذلك، وكما يعبر القرآن أنّه يجعل فتنة الناس كعذاب الله، أمّا إذا جاء النصر فإنّه يحاول أن يأخذ مكاسبه وثماره من خلال زعمه أنّه كان مع المسلمين (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت/ 10). أي: إلا يعرف هذا المنافق بأنّ الله مطلع على ما في داخله، وأنّ إيمانه مجرد إيمان سطحي ظاهري لم ينفذ إلى أعماق قلبه، والله مطلع عليه في حال النصر أو في حال الأذى والهزيمة.

(وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) (العنكبوت/ 11). فيعلم أنّ هذا النموذج من الناس هو من نماذج المنافقين وليس من نماذج المؤمنين، لأنّ المؤمن إذا أُوذِيَ في الله يصبر ويصمد ويثبت ويشكر الله على ما لاقاه في سبيله، ولعلّ القمّة في ذلك هي الكلمة الرائدة لرسول الله (ص) حينما لاحقه مشركو الطائف وضربوه بالحجارة حتى دमित رجلاه فاستند إلى حائط وناجى ربه وكانت كلمته الصادرة من أعماق إيمانه: "إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي". ومثلها الكلمة الرائدة التي تمثّل سرّ الإمام الحسين (ع) في فرجه الروحي في قلب المأساة عندما تناول بيده دم ولده الرضيع، حيث قال: "هوّن ما نزل بي إنّه بعين الله". لأنّ ألمه كان في الله ومن أجل الله، وهذا هو شأن المؤمن عندما يؤذى في الله.

المنافقون كما بور خامس:

وهناك نماذج أخرى من الناس يتحدّث عنها القرآن، فيقول الله تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) (الأحزاب/ 18). وهذا يعبر - كما في المصطلح المعاصر - عن الطابور الخامس، وهم المنافقون الذين كانوا يحاولون إعاقه المسيرة وأن يخذلوا المسلمين أمام الزلزال الذي حدث بفعل الحصار الذي أخذ به المسلمون من قبل الأحزاب (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ هُمْ إِلَٰهٌ بَدَلًا). أي سبوا مع فريقنا ولا تذهبوا مع رسول الله (ص) (وَلَا يَأْتُونَ الدِّيَارَ إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب/ 18). والبأس هنا كناية عن الحرب، فهم ليسوا مستعدين للمشاركة في الحرب (أَشِدَّةً عَٰلِيَةً كُمْ)، بخلاء، لا يعطونكم ما تحتاجونه (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ). أي في ظل الحرب النفسية التي تزرع الخوف في القلوب والتي عبر عنها القرآن في آية أخرى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن

فَوَقَّكُمْ وَوَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّ (الأحزاب/ 10).

فإذا جاء الخوف (سَلَفُكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ). أي شعروا أنكم في موقع الهزيمة فأظهروا ما في نفوسهم ضد المؤمنين والمسلمين فتحدثوا بالكلمات الحادة التي تمثل الإهانة للمسلمين (أَشْحَاجَةً عَلَى الْخَيْرِ). فهم ليسوا مستعدين أن يعطوا من نفوسهم الخير (أُولَئِكَ لَمْ يُوْفُوا). وهذا هو محل الشاهد، فهؤلاء الذين يتحركون في حال الحرب بطريقة التخذيل والتعويق للمسيرة والتكلم بشكل سلبي ضد المسلمين ولا يعطونهم شيئاً مما يحتاجونه، لم يؤمنوا، فالمؤمن هو الذي يعيش مع المؤمنين بكل معنى المشاركة في الحرب والسلام، وفي كل أوضاعهم وحاجاتهم التي يحتاجونها في ساحة التحديات (فَأَحْطَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (الأحزاب/ 19)، لأنهم لم ينطلقوا من قاعدة، وإنما حبطت أعمالهم لأنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، ومن الطبيعي أن الكفر يحبط عمل الإنسان.

الإيمان التزام كلامه:

وهناك نقطة مهمة جداً عالجهها القرآن الكريم في أكثر من آية وهي أنك إنما تكون مؤمناً عندما تلتزم الإسلام كلامه، فلا تحاول أن تأخذ من الإسلام جانباً لتترك جانباً آخر، فأن تلتزم الإسلام في مواقع العبادة ولا تلتزم به في مواقع السياسة فإنك عندئذ تتحرك في الخط السياسي على قاعدة غير إسلامية. وأن تتحرك في الخط العبادي على أساس الإسلام، يعني أن يكون شرع الله هو المرجعية التي ترجع إليها في كل ما تختلف فيه من قضاياك مع الناس بحيث لا تتحكم إلا إلى شرع الله، وإلا إلى القائمين على شرع الله المؤمنين عليه. وإذا اختلفت أيضاً مع الآخرين في بعض المفاهيم سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو حياتية بشكل عام فعليك أن ترجع إلى القاعدة الإسلامية التي تحد لك هذه المفاهيم وتؤمّلها.. أن تلتزم بالإسلام يعني أيضاً أن تفقد - بإرادتك - حريتك في الانفتاح على التيارات الأخرى انفتاح التلقّي والتأثير، بل لا بد من أن يكون الإسلام كل شيء في حياتك.. أن تكون مسلماً في نفسك. وفكرك وعاطفتك وحركة طاقاتك.. أن تكون مسلماً في حياتك العائلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي أوضاعك القضائية، فإذا لم تكن كذلك فليست مؤمناً بما يحمله الإيمان من مضمون.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) (النساء/ 59). يعلنون الإسلام وأنهم يؤمنون بالله وبرسوله وبرسالته، لأن الرسالة الإسلامية انطلقت من خلال احتوائها على كل الرسالات في عناصرها الأصيلة (لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (البقرة/ 285)، (وَمُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) (الأنعام/ 92). ولذلك فإن هذه الآية قد جمعت الحديث عن شخصية المؤمن لأنهم آمنوا بالله وبما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، فالإسلام يؤمن بالكتاب كلامه، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في الفرق بين أهل الكتاب وبين المسلمين (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) (آل عمران/ 119). بينما هم لا يؤمنون بالكتاب كلامه.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) (النساء/ 60). والطاغوت هو كل خط في حكم أو قضاء أو سياسة تتحرك على خلاف دين الله، وقد فرّق الله بين المؤمنين والكافرين بالولاية له أو الولاية للطاغوت (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) (البقرة/ 257). فالطاغوت إذاً هو كل شخص أو كل كيان أو كل خط يواجه الله بما تعنيه ولاية الله من العبادة والدين والشريعة.

(وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ). لأنّه لا يجتمع في قلب إنسان الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء/ 60). أي أن يصدّهم عن الله ويدخلهم في المماتات التي لا تؤدي بهم إلى أي موقع من مواقع الهدى. (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) لأنكم أعلنتم الإيمان، ومن يعلن الإيمان لا بد أن يلتزم به، والالتزام بالإيمان هو التزام بكتاب الله وسنة نبيه وذلك هو معنى الإيمان.

فإذا قيل لهم تعالوا إلى الله في كتابه وإلى الرسول في سنته وموقع الولاية له (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَمُودُونَ عَنْكَ صُدُودًا) (النساء/ 61). يعرضون عنك ولا يقبلون عليك (فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ). ويقع من البلاء (ثمّ جاءوك).

في وقت الشدة (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ). لأنهم مشوا بحاجتهم إلى النبي (ص) في أن يرضى عنهم ويحضنهم وأن يمنحهم ما يريدون وأن يخرجهم من المصيبة التي هم فيها (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا حِسَانًا وَتَوَفَّىٰهَا) (النساء/ 62). أي يدعون أنهم ما أرادوا إلا الخير (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ)، فلا تحاسبهم، ولا تدخل في جدل معهم، ولكن قبل أن يذهبوا عظيم وذكّرهم وأخرج لهم ما يخفونه في أنفسهم وبصرهم بأن ذلك يؤدي بهم إلى الهلاك (وَعَظَّمَهُمْ) وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) (النساء/ 63). أي حاول أن تعرفهم أنك تعلم ما يخفونه في دخيلة أنفسهم من الضلال.

طاعة الرسول (ص):

ثم إنَّ اﷲ تبارك وتعالى يعطي القاعدة للمسلمين آنذاك، وللمسلمين في امتداد الزمن (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ). فإنَّ معنى أن تلتزم بالرسول هو أن تطيعه وقد قال في آية أخرى (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ) (النساء/ 80)، حتى أنَّ اﷲ سبحانه وتعالى جعل الصديق في حبِّ الناس له - عندما يدعون المحبة - هو إطاعة الرسول، وهذا ما جاءت به الآية (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (آل عمران/ 31)، والإقبال عليه ليس مجرد شهادة ولا كلمة وإنما هي عملية اتباع (وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُمْ مِنْ آدَمُ طَلَامُوا أَنْفُسَهُمْ). بالنفاق أو العصيان (جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ) فقد فتح اﷲ لهم باب التوبة (وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ الرَّسُولُ). عندما يرى منهم صدق الاستغفار (لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (النساء/ 64).

الاحتكام إلى الرسول (ص) في المنازعات:

كما أنَّ اﷲ يركّز الإيمان في صفته العميقة بالالتزام بأحكامه. قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ). فلا يمتلكون صفة الإيمان إلا إذا جعلوك الحكم في كلِّ ما اختلفوا فيه، وأن يجعلوا الرسول (ص) حكماً هو أن يجعلوا شريعته في الحكم بحيث تكون هي المرجعية في خلافاتهم كلها سواء في القضايا الفكرية أو العملية (ثمَّ لا يجدُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ). فلو كان الحكم ضد ما رأوه فإنهم لا يشعرون بالحرَج والمشقة والرفض النفسي (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء/ 65)، وهذا ما ورد من أن الإسلام هو التسليم وهو ما حكاه اﷲ تعالى عن إبراهيم (ع) (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (البقرة/ 131).

الإيمان والحرية:

وتؤكد آية أخرى في (سورة الأحزاب) هذا المعنى حيث تقول للمؤمن: إنَّ التزامك بالإيمان يفقدك حريتك في أن تختار أي خطٍّ أو أي حكم مضاد للإيمان، لأنك لا يمكن أن تؤمن بالشيء وضده، وليس هذا اضطهاداً لك، وقد يقول البعض من الناس إنَّ هذا يناقض حرية الإنسان التي أكدها القرآن الكريم نفسه حيث قال: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَمْ فَمَنْ شَاءَ فَلَا يُلْزِمُهُ) (الكهف/ 29). ولكننا نقول: نعم، إنَّ اﷲ سبحانه وتعالى جعل الإنسان حرّاً التفكير حيث يمكن أن يلتزم الإيمان أو يلتزم الكفر، ولكن عليه أن يتحمّل مسؤولية نتائج الإيمان هناك ونتائج الكفر هنا. فإذا التزمت الإيمان بإرادتك واختيارك فمن الطبيعي أن تستقيم على الإيمان في هذا المجال. فحريتك تبقى ما دمت غير ملتزم، فإذا التزمت فقد حرّكت حريتك من خلال إرادتك في الخطّ الذي اخترته، وهذا مما ينبغي أن يلتفت الناس إليه لأنهم يحركون مفهوم الحرية في كلِّ مجال، فعندما تقول أنا مؤمن فإنَّ ذلك يعني أنك تمارس حرّيتك في اختيار الخط، واختيارك للخط هو عملية لممارسة الحرية، فعندما تمارس حرّيتك في اتجاه معيّن فلا معنى لأن تفتح على اتجاه آخر انفتاح الاتباع، إلا إذا تراجعت عما اخترته من هذا الفكر أو هذا الاتجاه.

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

يَكُونُ لَهُمْ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ). فليست لك حرية أمام الله، فأنت حرٌّ أمام العالم ولكنك عبد أمام الله وحده وهذا هو معنى التوحيد، فمعنى "لا إله إلا الله" أنك تنفي كل الآلهة وتمارس حرّيتك أمام كل من يدعون الألوهية وتبقى عبداً لله وحده (وَمَنْ يَعْبُدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (الأحزاب/ 36).

ويحدثنا الله عن بعض هذه النماذج التي تعلن الإيمان ولكنها لا تلتزم بالتزاماته، (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ). فهم يعربون عن الانسجام في خط الإيمان وفي الالتزام بلوازمه وأحكامه ولكن، (وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا مَنَافِقٌ) (النور/ 47). فالإيمان يعني أمرين: أن تقول الكلمة التي تعبر عن إيمانك، وأن تستقيم في خط سيرك الفكري والعمل في اتجاه هذه الكلمة.

(وَلِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَدِينَهُمْ أَعْتَصَمَ الْفَرِيقُ الْغَلِيظُ مِنْهُمْ) (النور/ 48). لا يقبلون ذلك (وَأِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَى اللَّهِ مُذْئِبِينَ) (النور/ 49). فعندما يختلفون يأتي أحدهم ليسأل: لمن الحق؟ فإذا قيل له معك، فيقول: أنا مع الحق ومع الشرع، ولكن إذا عرف أن الحكم سوف لن يكون في صالحه فإنه يتمرد ويطالب بأحكام أخرى غير حكم الشرع والقرآن يتساءل: (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ). أي هل في قلوبهم مرض النفاق؟ (أَمْ أَرَبُتْ أَبْصَارُهُمْ). أم دخل الشك في إيمانهم؟ (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْزِقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ). فلماذا لم يرجعوا إلى أحكام الله في كفايته وسنة رسوله؟ ألا أنهم يخافون أن يجور الله عليهم ويظلمهم والله سبحانه وتعالى لا يظلم من عباده أحداً "وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً" والرسول (ص) لا يبتعد عن خط الله في شرعه.

(يَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (النور/ 50). الذين ظلموا ربهم بالمعصية، وظلموا أنفسهم بالنفاق وبالانحراف عن خط الله فالخط الإيماني هو: (إِنْ زَمَمْنَا كَلَانَ فَعُولُ الْمُنْذَرِينَ) (النور/ 51) دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَدِينَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور/ 51)، الذين يسمعون نداء الله ويطيعونه ويتحرّكون في خطه.

هذه هي بعض الآيات، وهي في هذا المجال كثيرة، التي تجسّد لنا عناصر الإيمان العميقة في شخصية الإنسان المؤمن التي بها يكون الإنسان مؤمناً، فعلى أن نعمل على أن نعمّق الإيمان في عقولنا، وفي قلوبنا، وفي حركتنا في الحياة، لأننا نخشى أن نكون مصداقاً لقول الله تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَوَاءُ أَعْمَلَهُمْ فَرَّاهُ حَسَنًا) (فاطر/ 8). ▶